



الكلدان سائرون و لايهابون الهرج

الأستاذ ابلحد افرام ساوا*

ان من يقرأ كتاب الحوذرة لكنيستنا الشرقية يعرف ما قصده مار ماروثا جيذا. وحتى البابا اوجيناس الرابع عندما اطلق اسم الكلدان على العائدين الى احضان الكنيسة الأم من نساطرة قبرص و اطرافها ومنع تسميتهم بالنساطرة انما اعتمد في ذلك على صورة ايمان مطرانهم مار طيماتاوس الطرسوسي الكلداني الجنس مع اتباعه نساطرة قبرص و اطرافها، لأن قبرص كانت بلاد المهجر الكلداني ابتداءً من القرن الرابع الميلادي ولغاية القرن السابع عشر الميلادي والتي جاء فيها (انا طيماتاوس الكلداني ..). فلم يكن البابا اوجينوس مخترعاً للأسماء لكي يختار التسمية الكلدانية ويطلقها على المتكلمين دون غيرها من التسميات، وهنا اود أن أقول لهؤلاء الأخوة: ما بالكم تتفخون في قرابة منقوبة! والى متى تصرون على ان الحنطة تحصد بالمقص وليس بالمنجل او الحاصودة، وان كنتم قد اغويتم البعض او حفنة من الكلدان ممن لا يعرفون الحقيقة او من باعوا انفسهم كمرتزة لتحقيق بعض المكاسب فهذا لا يعني صهر الكلدان لأن في كل أمة هناك المخلصين وهناك من يقبل على نفسه ان يبيع ذاته كمرتزة ومنظف. فليعلم الجميع ان الكلدان قد نهضوا وليس هناك من يقف في طريقهم ومهما تكالب الانداد على اختلاف اجناسهم واهدافهم وحاولوا طمس ومسح الهوية الكلدانية وحضارة الكلدان الا انهم سوف لن يجنون سوى الخيبة وفي الوقت ذاته اهيب بانباء امتنا الكلدانية، تلك الامة التي نورت العالم منذ اكثر من ثلاثة الاف سنة بنور علومها العديدة والتي لولاها لما عرفت البشرية تقسيمات الزمن التي لاتزال تعتمد على وجه المعمورة لكي ينهضوا ويستقيفوا ليحرقوا امتهم بركب الامم الاخرى ولاسيما في هذه الظروف الحساسة جدا التي تمر بها الامة الكلدانية ويمر بها الوطن. فيها هي جبال وسهول كلدو تتاديكيم وها هو نبوخذ نصر من اعماق رسمه بناجيكيم: هلموا واعيدوا مجد امتكم الذي صنعته وصنعه الاجداد من قبلي وزينهوا علمائنا، لذا اقول لكل كلداني شريف وغيور على كلدانيته ها نحن قادمون بخطوات راسخة ثابتة وبمقل نير وبحنكة من غير عجرفة ولا تطرف فلقد أن الوان لنجمع الشتات وندعو الخراف الضالة من القطيع، ولنوحد الكلمة والفكر والجهود وننشد باسم امتنا مهما كانت التضحيات دون خوف ومهابة فمن هاب ليس جديرا بالحياة وعلينا ان لا نبخل بأي جهد وبكل ما من شأنه رفع راية الكلدان عالية ومن اجل تثبيت هويتنا القومية وترسيخ وجودنا واخيرا اقول " لا خير في امة لاتجد من بين ابناءها من يضحى من اجلها فالامة التي ليس لها ابناء يضحون ولو بالبسيط ليست جديرة بالحياة".

* **الأستاذ ابلحد افرام** هو الرئيس الحالي للهيئة الادارية للمركز الكلداني للثقافة والفنون في دهوك - العراق.

منذ بضعة عقود من الزمن بدأت بعض الأوق تنفت بزفيرها الذي يخرج من اعماق اصحابها عاكسا ما فيهم من سقم و مشاعر مناونة للكلدان فراحوا تارة ينعون الكلدان بالمذهبية و أخرى بمجموعة من المنجمين و السحرة الذين لم يبق لهم وجود منذ اكثر من ألفي سنة وتارة اخرى يدعون بأن هذه التسمية اخترعها البابا اوجينوس الرابع سنة 1445 م كما و ربطوها أيضا بالبطيريك الشهيد يوحنا سولاقا الذي تكلم و رسم من قبل البابا بطريركا على الكلدان و استشهد على يد باشا العمادية بدسياسة من البطيريك النسطوري شمعون برماما و الذي قدم رشوة كبيرة لهذا الباشا الذي دعا يوحنا سولاقا لزيارة الكلدان في اطراف العمادية فلقى القبض عليه حال وصوله و زجه في السجن و من ثم توفي اثر تعذيبه و ذلك سنة 1555 م ، هذه المحاولات كلها كانت تهيئة الأرضية اللازمة لألاج الكلدان تحت مظلة تسمية دخيلة اطلقها عليهم البعض من المبشرين المتمثلين بوفد كنيسة كاتربري البريطانية بعكس ادعاءات البعض الخالية من الصحة، اذ انهم ما كانوا يعرفون عن هذه التسمية شيئا قبل بلوغ هؤلاء الأجانب ديارهم، بل كانوا حينئذ يدعون بالكلدان النساطرة.

مع ذلك نقول ليحملوا اية تسمية يريدونها فهم احرار في ذلك ولكن ما لانقبل به هو قيامهم او محاولتهم لفرض تسميتهم هذه على جميع المسيحيين خلاف الحقيقة ضاربين بذلك عرض الحائط المقومات الصحيحة لوجودنا القومي و الحجج الدامغة و الأدلة القاطعة لتسميتنا العريقة و صحتها و اصلتها، فمن يطالع على صفحات التاريخ منذ القرن الخامس و الأربعين قبل الميلاد وحتى اليوم رغم تعرضه للتشويه في هذه العقود سيعرف بأن للكلدان وجودهم و تاريخهم المتواصل طيلة هذه الفترة الطويلة ولم تنقطع سيرتهم وحتى بعد انتشار المسيحية و طغيان التسمية الدينية على التسميات القومية إلا ان التسمية الكلدانية بقيت سائرة مع الزمن حتى اليوم فما هو مار ماروثا الميافريقي على سبيل المثال في القرن الرابع الميلادي و أثناء الاضطهاد الأربيعيني الذي قام به شابور الثاني ضد المسيحيين، و في هذه الصلاة وضمن الترتيلة التاسعة التي تقال ضمن صلاة الرمش لأيام الجمع و يقول فيها "اعظمك سيدي الملك، ملك السماء والأرض.. صدر امر بقتل ابرار بحد السيف .. اندهش وتعجب الكلدان ورفعوا اصبعهم باتجاه السماء قائلين: ان رب ارباب المؤمنين الذي لا يرى يخلصهم".

ترى من الهم ماروثا الميافريقي ليذكر الكلدان دون غيرهم؟ ألم يكن يعبر عن حقيقة وجود الكلدان وبسمايتهم القومية في تلك الحقبة من القرن الرابع الميلادي واستمراريتهم بعد اكثر من 900 سنة منذ سقوط بابل الكلدانية في 539 ق.م؟

الاحزاب الاشورية والموقف من الحركة القومية الكلدانية

مراقب كلداني

اما الأسلوب الأكثر مثيرا للدهشة فهو مطالبة النشطاء الكلدان بدخول الأحزاب الأثرورية وبتكريتها الحالية، تلك الأحزاب التي هم يرفضون برامجها اصلا بحجة "حلول التغيير من الداخل"، على شاكلة كن عضوا في حزب البعث العربي لعلك تستطيع تغيير موقفه التفضيلي للعرب الى حزب يمثل جميع العراقيين بمختلف قومياتهم وبالمساواة، وهو كمن يريد ان يجعل البقرة تلد حصانا!! وعلى نفس المنوال يتم الأنتقاد بأسلوب "كفانا أحزابا جديدة ونحن امة صغيرة" ومع صحة هذا الطرح، يبقى السؤال: وماذا عن الساحة الأثرورية التي تفرخ حزبا جديدا كلما اختلف خمسة منهم مع أبناء عشيرتهم على كيفية "قيادة الأمة"، ماذا عن هؤلاء؟ لماذا لا تقوم الدنيا وتعدد كماهي الحال مع الكلدان؟ هل لأن تلك الأحزاب تفرخ داخل حضارة الأمة الأثرورية وبالتالي ان وطنيتها وعفتها ونفاتها القومي أمر محسوم منه بعكس الكلدان الذين عليهم أثبات تلك العفة والطهارة لأنهم ولدوا كلدانا وبالتالي ان نقائهم امرا مشكوكا منه ويحتاج الى ورقة "براءة ذمة" تقدمها وتوقعها تلك الأحزاب الأثرورية لأن اعضائها ولدو اشوريين بما يعنيه ذلك من صدق ونقاء وصفاء قومي بل وحتى وراثي يصل الى قرابة مباشرة مع اشور بانينال نفسه (وبالمناسبة كانت أمه أرامية الأصل لا آشورية)!

ونرجع مرة ثانية الى نقطة البداية، لماذا الخوف من قيام تنظيم سياسي خاص بالكلدان؟ ولماذا تعارض هذا التنظيم الأحزاب الأثرورية قبل غيرها، بل وحتى قبل النظام العراقي الذي من المفترض ان ينظر الى اي تنظيم قومي كلداني على كونه تهديدا مباشرا لسياسة تعريب وصهر الكلدان في بوتقة الأمة العربية التي يقوم بها منذ توليه السلطة قبل اكثر من ثلاثة عقود؟ وحتى لو افترضنا انه من مصلحة الأكراد في الفترة الراهنة أستخدامه لأضعاف الحركة الديمقراطية الأثرورية كما يدعي انصارها، أفليس في ذلك كمن يعمل على ايقاض التنتين الكلداني النائم متأملا انه يستطيع تطويعه واستخدامه في محاربة "خصومه الأثوريين" (ان أمانة بصحة هذا التعبير اصلا)، بينما لهذا التنتين قوة بشرية واقتصادية هي اضعاف مضاعفة مقارنة بالثور الأثوري وله مصالح ستتعارض في النهاية مع اساليب التكريد والهيمنة التي تتبعها تلك الأحزاب في شمال العراق؟ اضافة الى كون تلك المصالح الأسترآتيجية لا تتلائم مع الطموح الكردي في الأنفصال لكون الكلدان يعتبرون العراق وبكامله، وليس فقط منطقة آشور منه، على كونه موطن الأجداد وبالتالي يعارضون وبشدة مسألة تقسيمه الى دويلات أثنية تتفاسم فيما بينها قبور الأجداد العظام وبعكس رغباتهم وصراهم الدموي من أجل ابقاء بيت نهرين - العراق قويا وموحدا، ان كان يقاد من نينوى الشمال او من بابل الكلدان الجنوبية؟

ربما لهذه المعارضة اسباب أخرى خافية علينا، ولكننا نقول ان على الأخوة الأثوريين ودعاة الأثرورية ان يفكروا مليا بأسلوبهم نحو الكلدان، اذ ان ايام السبات الكلداني تنبذ وبسرعة يوما بعد آخر، وان الحاجة لوجود من يمثل الكلدان ومصالحهم (التي قد تتوافق في جميعها او في غالبيتها مع الأخوة الأثوريين) اصبح ضرورة ملحة لا يمكن التراجع عنها في هذه الظروف الخطيرة التي يمر بها العراق ومنطقة الشرق الأوسط، اضافة الى انه لو افترضنا ان يوم النقاش مع الأخوة الأثوريين حول سبل توحيد شعبنا سيأتي عاجلا، فمع من تريد تلك الأحزاب الأثرورية التفاوض من الكلدان من أجل الوصول الى تلك الوحدة المنشودة؟ أم انها تتصور أن الوحدة بين الكلدان و الأثوريين موجودة اصلا وانها تمثلهم وبالتالي انها ستتفاوض فيما بينها فقط من اجل تقسيم مواقع قيادة وتمثيل الأمة؟! واخيرا اننا ندعو قيادات ومنتقفي الأحزاب الأثرورية الى الكف عن تثقيف عناصرها وقاعدتها بالأفكار البالية حول كون الكلدان "طائفة دينية"، او تشجيع هؤلاء الانصار على أن يكونوا من اعلى الأصوات قاطبة على الساحة السياسية العراقية التي تتكرر الوجود القومي الكلداني و تحاول تشويه تاريخهم وتسميتهم القومية التي كان جميع اجداد مدعي الأثرورية الحاليين و لحد اقل من 150 عام فخورين بكونهم "كلدانا نساطرة"، قبل قيام مبشري كنيسة كاتربري الإنكليزية باطلاق التسمية الأثرورية عليهم. وندعو قيادة زوعا الى التوفيق بين ادعاءات اعضائها من الكلدان من دعاة الأثرورية حول التطور الفكري والتغيير وبين ممارسات غالبية اعضائها الأثوريين التي لاتزال ترفض التسمية الكلدانية.

أن حرية الرأي و الرأي الآخر، هي احدى القواعد الأساسية للديمقراطية واية محاولة لأسكات وقمع الآخر ستؤدي في النهاية الى عواقب وخيمة للجميع. وهنا ضرورة عدم شحن الساحة الكلدانية الأثرورية التي تخنتها الجراح والصراعات الجانبية بعوامل استفزاز جديدة تعود على ابناء الأمة الواحدة بالعواقب وعلى الجميع. ان لأي كلداني او آشوري او سرياني الحق في تكوين حزبه الخاص ولا يجب ان ينظر الى ذلك العمل على كونه موجه ضد هذا الفصيل او ذلك بل على كونه يلبى رغبة وحاجة مجموعة معينة من الناس على تحقيق المبادئ التي يؤمنون بها والتي لم يحققها او يلبىها اي فصيل او مجموعة سياسية أخرى. فلنرحب جميعا بهذا التنظيم السياسي الكلداني المرتقب ونعاضده بما يخدم مصالح شعبنا وامتنا المجيدة.

ان المنتبغ للتطورات السياسية على الساحة الكلدانية في شمال العراق وفي المهجر يلاحظ ان اية حركة تتم على طريق تنظيم الكلدان في بوتقة سياسية فعالة ومؤثرة تجابه برود فعل قوية وسلبية على الساحة الأثرورية. فتشذب الفصائل الأثرورية بمسألة أحتكار العمل السياسي على ساحة مسيحي العراق اصبح حقيقة لا تخفي على اي شخص و خصوصا محاولة فرض هيمنتها وادعاءتها بكونها الممثل الوحيد لجميع مسيحي العراق وخصوصا غالبيتهم الساحقة، اي الكلدان.

ان قيام بعض نشطاء الكلدان وقيادة السيد ابلحد افرام ساوا بحملة جمع التواقيع لتأسيس حزب سياسي كلداني في شمال العراق ومن ثم تقديمهم طلب الى الادارة الكردية للسماح لعمله العلني قد اثار ضغينة البعض من الاحزاب الأثرورية التي تنتظر الى اي عمل سياسي منظم بين الكلدان على كونه تهديد مباشر لها.

الكلدان الذين عملت جميع الاحزاب الأثرورية، ومن دون استثناء، على تصويرهم بكونهم "طائفة دينية" (وهنا تتفق الأحزاب الأثرورية مع الفكر العروبي البعثي في محاولتها لأنكار الوجود القومي الكلداني، كل لدوافعه الخاصة)، وبما ان هذه الاحزاب تتصور نفسها على كونها قائدة لتلك الأمة، فهي بالضرورة قائدة وممثلة "طائفة الكلدان" حسب تصورهما، وبالتالي ان قيام الكلدان بتنظيمهم السياسي المستقل يعني تهديد مباشر لهذه "القيادة للأمة"!

ومن اجل فهم الأسلوب الذي تستخدمه تلك الفصائل في محاربة الحركة السياسية الكلدانية الناهضة هو قراءة لسلسلة من المقالات اخرها مقالة من دون توقيع ظهرت في شهر حزيران الماضي في نشرة (زنداء) الأثرورية الاسبوعية والتي تطبع بالانكليزية وعلى الانترنت فقط، هاجم فيها كاتبها رموز الحركة السياسية الكلدانية في شمال بيت نهرين - العراق واتهمهم تارة بالعمالة للأكراد وتارة لنظام صدام حسين وبكون هدفهم الاول والاخير هو "تقسيم الأمة الأثرورية". مضيفا اليها ان اسباب "خلقهم من قبل الاكراد" هو من اجل اضعاف الحركة الديمقراطية الأثرورية (زوعا) " ممثل الكلدان والسريان والأثوريين" بحسب قول الكاتب.

انه من الغريب في أسلوب ذلك الكاتب المجهول الذي يبدو على اطلاع وثيق بأسماء ونشاطات تلك الرموز الكلدانية الساكنة والعاملة في شمال العراق انه لم يكف عن المديح للحركة الديمقراطية الأثرورية وفي نفس الوقت استفرد اولئك النشطاء السياسيين الكلدان بالعمالة للأكراد ولصدام حسين وبالفساد تاركا القارى في حيرة ان كان عليه الأستنتاج ان العفة والطهارة هي شيمة الاحزاب الأثرورية ولغيرها الفساد والفسق!

ان اي منتبغ لتكريت مراكز القوى في شمال العراق يصل ويكل سهولة الى الاستنتاج انه لولا موافقة الاحزاب الكردية على رخصة عمل التنظيمات الأثرورية لما استطاع اي منها العمل هناك وبالعلنية التي نراها، بل ان الغريب ان البعض ينسى (او يحاول ان ينسى الآخرين) ان للحركة الديمقراطية الأثرورية وزراء في الحكومة الكردية ما كانوا ليعينوا بوظائفهم ورواتبهم ومكاتبهم وسياراتهم وحرصهم الشخصي لولا موافقة وارتياح الاحزاب الكردية على ان وجودهم هو خدمة لمصالحها، وبالتالي هل المطلوب منا اعتبار ان التعامل مع الاكراد هو احتكار لهذه الاحزاب الأثرورية التي لايمكن ان يصور عملها هذا "بالعمالة" لأن العمالة هي حكر على الكلدان دون غيرهم؟ ليست الحركة الديمقراطية الأثرورية موقعة على اتفاقية "التحالف الأستراتيجي" مع التنظيمات الكردية بكل ما يعنيه ذلك من تأثير على حاضر ومستقبل العراق؟ ألم يتهم فلند زوعا الحالي بالعمالة للنظام البعثي من قبل بعض الاحزاب الأثرورية، اضافة الى اعضاء قدامى وبارزين استقالوا من اللجنة المركزية للحركة الديمقراطية الأثرورية نفسها؟ والم تتهمه بعض الصحف الكردية بالفساد المالي حين كان وزيرا في الحكومة الكردية؟

ومن الاساليب الاخرى التي يتم استخدامها في محاربة اقامة التنظيم السياسي الكلداني الموعد هي محاولات التشكيك بمصداقية اطروحاته ومطالبته بورقة حسن سلوك حتى قبل اعلانه. اذ يعلن البعض على كونه " يرحب ويساند" قيام حزب سياسي يمثل الكلدان "اذا استوفى الشروط التالية"، ثم يتم تقديم لائحة طويلة من الشروط التي على ذلك الحزب السياسي الكلداني الألتزام بها كي ينال مساندة وترحيب ذلك البعض، ومن دونها لن يتم النظر على عدم استيفاء ذلك التنظيم لتلك الشروط من باب "اختلاف وجهات نظر" بل على كونه عميل للأكراد وصادم حسين (على وتيرة "عميل الأمبريالية والصهيونية" الذي يطلقه البعثيون على كل من لا يتفق مع سياساتهم)، وعلى كونه غير صادق ويعمل ضد الأمة والى غيرها من الاوصاف التي يراد بها اجهاض اية حركة عند الكلدان لإنشاء تنظيمهم السياسي الخاص.